المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

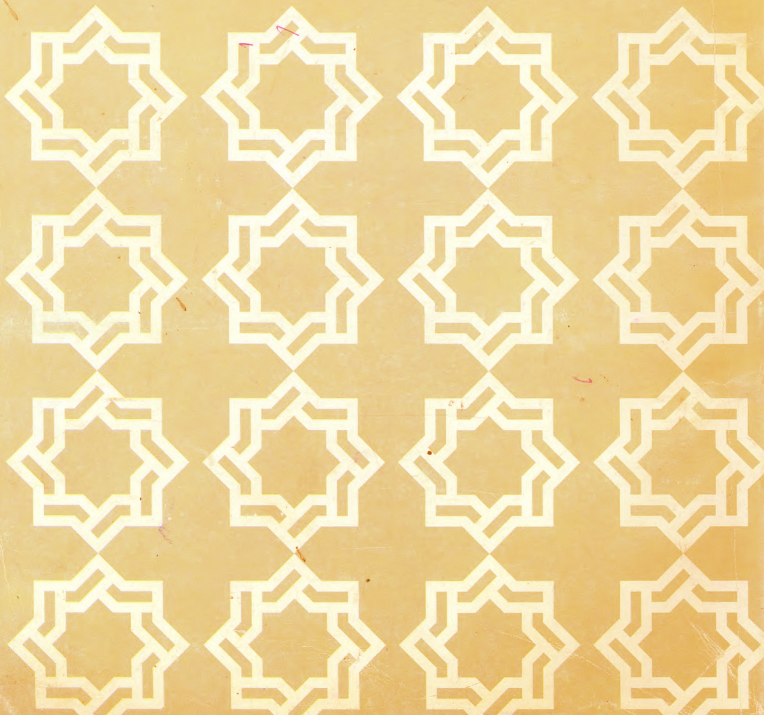

البريديون

٣١٠ - ٣٢٩هـ/٩٢٧ - ٩٦١ م

بقلم الدكتورة

جليلة ناجي الهاشمي

جامعة بغداد - كلية الاداب
قسم التاريخ

قبل الدخول في موضوع البريديين واصلهم ومنطقة نفوذهم والمراكز الحساسة التي وصلوا اليها لابد لنا من التطرق الى ظروف الفترة التي عاصرت ظهورهم . لنستطيع ان نكشف الاسباب الموضوعية والذاتية التي ادت الى بروزهم على مسرح التاريخ شأنهم شأن الاسر المتنفذة التي لعبت بمقدرات الخلافة العباسية لسنوات عديدة .

ان طبيعة النظام الاقطاعي السائد في الدولة العباسية منذ نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري ، تلقي الضوء على تردي الاوضاع الاقتصادية انذاك نتيجة تكدس الاراضي والاموال بيد فئة تمثلت بالخليفة العباسي وحاشيته من الوزراء وكبار القادة العسكريين والكتاب وغيرهم وفئة معدمة فقيرة تكدح ليل ونهار في سبيل الحصول على لقمة العيش التي يتعذر تناولها في اغلب الاحيان وهناك شيئ مهم هو ان نشير هنا الى مجموعة من الامثلة والحوادث التي اعطاها ابن الاثير والتي عكست ما كان يعانيه الناس من المآسي والآلام . فمن جملة تلك الحوادث قوله « اشتد الغلاء ببغداد حتى اكل الناس الميتة والكلاب والسنانير .. واكل الناس ضروب الشوك فاكثروا منه وكانوا يلقون حبه ويأكلونه فلحق الناس امراض واورام في احشائهم وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم وانحدر كثير من اهل بغداد الى البصرة فمات اكثرهم في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مديده يسيره وبيعت الدور والعقار بالخبز (١) . وبالرغم من كثرة المبالغات الواردة في هذا النص فانه يعكس الى حد ما الوضع الاقتصادي السيئي وما وصلت اليه البلاد من فوضى وخراب وطبيعي ان وضعا اقتصاديا متهريا كهذا رافقه وضع سياسي متردي جدا تمثل بظهور حركات انفصالية واختلال اسباب الامن وعدم الاستقرار حتى اصبح الناس لا يأمنون على حياتهم واموالهم فكثرت حوادث سلب الاموال ونهب الدور وكبسها ليلا ، مع ما صاحب تلك الحوادث من فوضى عسكرية نتيجة تسلط الجند المرتزقة على الخلافة وتحكمهم في تنحية وتنصيب الخلفاء حسب رغباتهم الشخصية ، وحسب مقدار ما يصرف عليهم من الاموال ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نرى ان عملية السيطرة على الاراضي اخذت طابعا اخر فعلى مر السنين تركزت غالبية الاراضي بيد الخليفة العباسي ومنحه الاراضي الشاسعة للمقربين له بمثابة اقطاع وكذلك منحها للفئات الغنية في المجتمع والتي لها الامكانيات المادية لتعمير الاراضي واحيائها بعد موتها (٢) .

كما انه لعدم استطاعة الخليفة من سد حاجات الجند المرتزقة . اضطر ان يقطع كبار الجند ، الاقطاعات الواسعة ليسدوا بها نفقاتهم وليسترضيهم ،

---

١ - ابن الاثير - الكامل - ج ٦ دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ص٣٢١ .

٢ - الماوردي - الاحكام السلطانية ، ط٢ ، ص١٩٠ ، مصر ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ .

ولكن هؤلاء كانوا يتمسكون بما حصلوا عليه من الاراضي عندما يلاحظون مقدار ما تدره عليهم من الارباح ، اما اذا كان ربحهم قليلا من هذه الاراضي فردوها وعوضوا عنها بغيرها (٣) . وبطبيعة الحال فان نتيجة كل ذلك ان اصاب الاراضي الزراعية الخراب والفوضى فقل وارداها بسبب عدم استطاعة الجند استثمارها واصلاح ما خرب منها ، وهذا بدوره ادى الى انخفاض المحصول الزراعي وبالنتيجة اثر تأثيرا كبيرا على وارد الخلافة فزادت الاسعار وانخفض مستوى المعيشة ، وهكذا اصبحت هذه الاقطاعات وما تدره من واردات عاملا يحدد علاقة الخليفة باصحاب هذه الاقطاعات ، كما ويحدد من جانب اخر علاقتهم بالخليفة ، وفي اكثر الاحيان كانوا يتقاعسون عن الدفع له ويخرجون عن طاعته ويعملون لتنحيته من منصب الخلافة . ذلك لان جزءا كبيرا من وارد الخلافة الاساسي كان يأتي من مالكي الاقطاعات وان بقية الموارد كانت تأتي من الضياع السلطانية وخراج الولايات .

وبنتيجة الامتناع عن الدفع للخليفة وعدم محاسبة الضمناء الا بما هو متعاقد عليه فان طرق جباية الاموال واستحصالها كانت غالبا ما تتم بطرق تعسفية ظالمة وكان لا يهم الجباة غير جمع الاموال والحفاظ عليها بعد تادية حصة الخلافة منها وما يقدمونه للوزراء على شكل هدايا لكسب مودتهم وبمرور الزمن وبسبب استئثار هؤلاء بالاموال تحولت اكثرية ثروة الدولة العباسية الى الوزراء والعمال والكتاب والقواد ونحوهم في فترات ضعف الخلفاء ، ومن جانب اخر عمد الخلفاء لاستبقاء نفوذهم وسطوتهم على الجند وكان الجند بحاجة مستمرة الى الاموال وبنتيجة لحاجة الخليفة الماسة لسد حاجات جنده فانه اضطر الى مصادرة بعض ممتلكات الوزراء والعمال والكتاب واستحصال الاموال منهم بالقوة واصبحت المصادرة بتوالي الايام مصدر هام في تحصيل المال فالوزير يصادر العمال وهؤلاء يصادرون الناس والخليفة يصادر الوزراء والتجار المثرين . ان معظم المصادرات حدثت في فترة الخليفة المقتدرة (سنة ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) واولهم كان الوزير علي بن الفرات (٤) وغيره من الوزراء كعلي بن عيسى (٥) وآل البريدي

٢ - مسكويه ، تجارب الامم ، حـ٢ ، ص٩٧ ، مصر ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م .
٤ - مسكويه - تجارب الامم حـ٢ ، ص٨٨
٥ - نفس المصدر السابق ، ص ١٠٩

(٦) وابن مقلة(٧) وغيرهم وهكذا سادت هذه الفترة الفوضى العسكرية وتدخل الجند في شؤون الخلافة. حيث اصبحوا السند لكل من يمدهم باموال اكثر ولا يهمهم امر الخلافة فان تعذر على الخليفة ترضيتهم وكسب ولائهم ثاروا ضده ونصبوا من يرغبون فيه عوضا عنه ، مثلما حدث للخليفة المقتدر حيث نحي عن الخلافة من قبل الغلمان المصافية والحجرية(٨) بعد ما نهبت الدار ومحت رسوم الخلافة .

وهتكوا الحرمة ، وهم انفسهم اعادوه للخلافة للمرة الثانية (٩) ، بعد تنحية القاهر وسهل عيناه (سنة ٣٢٢هـ /٩٣٤) لمحاولة القاهر بتقليل الساجية (١٠) واستعمال الشدة معهم وتأخير عطاءاتهم مما جعل هؤلاء يتشاورون في الامر ويعدون له العدة لخلعة وفعلا نجحوا في ذلك (١١) ، بمساعدة جماعة تقف وراءهم وتمدهم بالمال وترسم لهم الاتجاه بدافع من مصلحتها الخاصة وللوصول الى اعلى المناصب ، فمن هؤلاء ابن مقلة الوزير السابق الذي دبر خلع القاهر بعد تنصيبه بمدة يومين فقط . وعند عودة الخليفة المقتدر للخلافة مرة ثانية عهد لابن علي بن مقلة بالوزارة وكتب الى البلاد بما تجدد له (١٢) .

فالتوزيع غير المتكافيء للثروة عن وجود النظام الاقطاعي الممثل بسلطة الخليفة وحاشيته من جهة ووجود طبقة فلاحية فقيرة عانت من الهون والحرمان جعلها تلتف حول كل الحركات السياسية التي ظهرت في تلك الفترة مؤملة فيها خلاصها من الظلم الاقطاعي من جهة اخرى ، جعل هؤلاء الفلاحون يشكلون الدعامة الاساسية في الانتاج من حيث ان الوارد العام للخزينة يأتي عن طريق الاراضي الزراعية ، من

٦ - نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٥
٧ - نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٩
٨ - المصافية فرقة من الغلمان الذين كانوا يتناوبون الحراسة في مصاف باب الخاصة وحوالي القصر ونسبة لذلك سموا بالمصافية .
الحجرية .. هم مماليك الخليفة المعتضد بالله ، فانه رتبهم على حسب المقام في القصر والحجر وسماهم بالحجرية (الهلال الصابي ، الوزراء ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨ ص١٦) .
٩ - ابن الاثير . الكامل ، حـ٦ ، ص٢٠٠ - ابو الفداء المختصر في اخبار البشر حـ٢ ، ص٩٣ - بيروت .
١٠- فرقة عسكرية من الجند المرتزقة ينسبون الى يوسف ابن ابي الساج والي اذربيجان وارمينية في عهد المقتدر (ابن الاثير جـ٨ ، ص٩٨) .
١١- ابن الاثير - الكامل ، حـ٦ ، ص٢٢٢
١٢- نفس المصدر السابق ، ص٢٠٣

مجهود الفلاحين المضنى ، كان يقدم للخليفة وحاشيته ليصرفوها في شتى المجالات المختلفة سواء كانت تدفع كرواتب للوزراء ولكبار الموظفين والجند او تصرف في امور ترفيهية . وان فداحة الضرائب الملقاة على عاتق الفلاحين ، وما يعانوه من فقر وحرمان اثر على بقية فئات المجتمع الاخرى اذ لم يسلم هؤلاء من النهب والسرقات وكسر الدكاكين ليلا ونهب ما فيها وتركهم لرحمة القدر .

والى جانب ذلك ان ظهور الحركات الانفصالية ادت الى حصر سلطة الخليفة في هذه الفترة على بغداد وما يحيط بها من قرى وارياف . اما بقية انحاء الخلافة فقد توزعت بشكل اقطاعات توزعت على الجماعات المقربين للخلافة واصحاب النفوذ فالبصرة خضعت لابن رائق امير الامراء وخوزستان اصبحت في يد البريدي وفارس والري اصفهان والجبل فقد خضعت للبويهين وكرمان فكانت بيد ابن علي محمد بن الياس ، والموصل وديار بكر ومصر وربيعة تحت سيطرة الحمدانيين ، والمغرب وافريقيا تحت سيطرة العلويين والاندلس تحت حكم الامويين وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة تحت نفوذ القرامطة (١٣) الا ان هؤلاء اعترفوا بالسلطة العليا للخليفة العباسي وكانوا يخطبون له في المساجد وتقدم له الهدايا السنوية مقابل منحهم الالقاب والرتب العسكرية ، وكان من ضمن هؤلاء المنتفعين عائلة ابناء البريدي الذين سيطروا على الاهواز والبصرة ، وهذا ما استنأوله في بحثي لما لها من اثر في وضع الخلافة ولما لعبته من دور في الاهواز والبصرة لفترة طويلة .

من هم البريديون ؟ يذكر الكثير من المؤرخين ان تسميتهم جاءت من كلمة بريد حيث ينفذ بسرعة من بلد الى بلد والمشهور بهذه النسبة ابو عبدالله الحسن بن عبدالله احمد البريدي (١٤) اما باون وكابر وسوردال فيذكرون بان اباهم كان مديرا للبريد في البصرة (١٥) . وذكر الصولي ومسكويه بان البريديين كانوا يترددون بين منطقة الاهواز والبصرة (١٦) . ومن خلال ذلك يتضح لنا بان موطن البريديين كان البصرة . وكان البريديون حسب اعتقاد ماسنيون من الشيعة ، مشيرا الى ابي القاسم البريدي (ابن ابو عبدالله) وكذلك يذكر سوردال بان البريديين ينتسبون الى الشيعة (١٧) ولا يوجد غير ذلك الى ما يشير او يكشف عن عقيدتهم عدا بعض الاشارات عند مسكويه عندما اصدر الخليفة امرا بالقاء القبض على ابي عبدالله وابى الحسين وابى يوسف انهم ركبوا طياراتهم واظهروا انهم يريدون مسجد الرضا المتصل بالشاذروان بالاهواز (١٨) وفي الحقيقة ان ما اورده مسكويه بهذا الخصوص لا يعطينا دليلا واضحا على عقائد البريديين الدينية حيث ان ذهابهم الى مسجد الرضا كان لغرض الابتعاد عن اعدائهم ولا يعني انهم ذهبوا لزيارة الحضرة .

لم يكن لبني البريدي شأن يذكر في بداية الامر ولكن طموحهم والخبرة المستمرة وترقبهم للاحداث مع زيادة وتطور نفوذهم المالي كل ذلك جعل ابناء البريدي يرسمون الخطة لاحتلال بغداد وتقليدهم منصب الوزارة هذا المنصب الذي حلم به الكثيرون ومهدوا له شتى السبل وكان من ضمنهم ابو عبدالله البريدي .

لقد بدا وضع البريديين يتحسن بصورة ملموسة منذ ان قلد الوزير علي بن عيسى (سنة ٣١٥ هـ ٩٢٧م) لابى عبدالله البريدي الضياع الخاصة ضمانا واقطاع الوزراء وكان ابو يوسف البريدي يتولى لعلي بن عيسى الخراج برامهرمز سهلها وجبلها (١٩) الا ان ذلك لم يرض طموح ابى عبدالله البريدي وغروره فنراه عندما سمع بتقليد غيره من العمال منطقة الاهواز وما حولها اضطرب للامر كثيرا وتفوه بعبارات امام بعض الاشخاص حيث قال « يقلد هؤلاء هذه الاعمال وتقتصر باخي ابى يوسف على سرق ولي على ضمان انضياع الخاصة فان لطياي صوتا سوف تسمعه بعد ايام (٢٠) » حيث اعتبر العمال الذين تقلدوا الاهواز ليسوا اكثر كفاءة منه وان الاهواز بنظره تعني شيىء اخر اذ انها تعتبر من المناطق الغنية التي تدر ارباحا كثيرة ، لذلك قام بعدة محاولات للحصول على هذه المنطقة باذلا المال لكسب الاصدقاء ولتذليل الصعوبات . والمعروف عن ابى عبدالله انه يستطيع النفاذ من اصعب المشاكل والخروج منها بسلام مستخدما ذكاءه وماله وصداقته ، ففي كل مكان كان له من يترصد الاخبار واكثرها كانت تنقل

١٢- تاريخ ابو الفداء ، جـ٢ ، ص١٠٦ .
١٤- ابن الاثير اللباب في تهذيب الانساب ، جـ١ ، ص١١٧ ، مصر ١٣٥٧هـ .
١٥- عبدالجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري ، ص٨١ ، لندن ١٩٧٠ (طروحة بالانكليزية لم تنشر بعد).
١٦- الصولي ، الاوراق - مسكويه تجارب الامم جـ١ ، جـ٢.
١٧- عبدالجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري ، ص٨ .
١٨- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٣٦٤ ، مصر ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
١٩- نفس المصدر السابق ، ص ١٥٢-١٥٣ .
٢٠- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص١٥٨ - ابن الاثير - الكامل جـ٨ ص١٨٥ - بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

عن طريق الحمام الزاجل ، كل ذلك جعل الكثير من المؤرخين يصفونه بأحد دجالي الدنيا وشياطينها(٢١) وعندما ما بلغه اضطراب امر الوزير وهو بالاهواز ارسل اخاه ابا الحسين الى بغداد وامره بان يحصل له على الاهواز من الوزير ولا سيما انه كان من المرتشين ، وعند تنحية علي بن عيسى عن منصب الوزير ومجيىء ابو علي بن مقلة وكانت تربطه صلة مودة معه فارسل اليه مبلغ « سفاتيج بثلاثمائة الف دينار » (٢٢) فتقلد ابو عبدالله على اثرها اعمال الاهواز جميعها سوى السوس وجنديسابور وقلد ابو الحسين الفراتية(٢٣)، وابو يوسف الخاصة(٢٤). واستطاع ابو عبدالله البريدي ان يحصل من عامل تستر مبلغ عشرة الاف دينار واخذ من كاتبه الفي دينار ومن خليفته ثلاثة الاف دينار ومن حاجبه الفي دينار (٢٥) ، ولم يوصلها الى الوزير بن مقلة . فهذه المبالغ تعطينا توضيحا للثروة التي بدات تتدفق على يد ابناء البريدي من جهة والتمسك بالاهواز والمحافظة عليها من جهة اخرى ، لكن امورهم لم تستمر على هذه الوتيرة بل اصابتهم خيبة الامل بعد عزل الوزير ابن مقلة عن منصبه ومطالبة الخليفة المقتدر بالقاء القبض عليهم لتمنعهم عن الدفع ، وعلى اثر ذلك قام ابو عبدالله البريدي بمحاولة لانقاذ اخوته واطلاق سراحهم بواسطة كتاب مزور الا ان امره انكشف بعد ذلك وعلى اثرها جلبوا جميعا الى بغداد حيث اجبروهم على دفع ثلثمائة الف دينار(٢٦) ثم اعادوهم الى وظائفهم .

من هذا العرض السريع يتضح لنا كيف ظهر البريديون وطبيعة الوظائف التي احتلوها والتي لا تتعدى الضمان والكتابة ودفع الغرامات والعزل والاعادة الى الوظائف ، وكلها تعكس عن عدم الاستقرار السياسي الناجم عن ضعف سلطة الخلافة العباسية في بغداد ، وهذا لا يعني ان البريديين اكتفوا عند هذا الحد ورضوا به فقد قاموا بعدة محاولات لاعادة نفوذهم وبنتيجة احتكاكهم بالسلطة السياسية عن طريق وظائفهم والتقلبات التي مروا بها جعلتهم يشخصون اسباب التدهور السياسي وضعف نفوذ الخليفة وعدم سيطرته على بقية مناطق الخلافة ، ولذكائهم وخبرتهم في مجال العمل بداوا يعدون للامر عدة للسيطرة على الاهواز والبصرة باقرب فرصة مناسبة .

كانت الاهواز والبصرة تعنى كل شيء بالنسبة للبريديين بسبب وفرة الموارد الاقتصادية التي تدرها هذه المناطق ، لذلك بذلوا شتى الوسائل للقضاء على كل من ينافسهم في السيطرة عليها . فقد اعتبروا محمد بن ياقوت من اشد المنافسين لهم عندما عقد لياقوت اعمال الاهواز (سنة ٣٢٢هـ - ٩٣٤م) ، شغل ابو عبدالله البريدي منصب كاتب له مضافا الى ما بيده من اعمال خراج الاهواز وصار اخوه ابو الحسين يخلف ياقوتا ببغداد (٢٧) . وبعد مقتل ياقوت قضى على اكبر منافس لهم حيث قلد الخليفة الراضي كور الاهواز لابي عبدالله ولاخيه ابى يوسف خلال مدة تقليدهم الاهواز لسنى « اثنتين وثلاث واربع وعشرين وثلثمائة انهم جمعوا مبلغ ثمانية الالف الف دينار»(٢٨) والذي ساعدهم على جمع المال هو حسن تصرف ابي عبدالله البريدي وعدم افراطه في البذخ ومعرفته لموارد الاموال فقد وصفه مسكويه بانه « كان اجمه ، عنده استظهار ، واناخ في النفقات وارزاق الاولياء وما كان يعلل به السلطان على اموال كور الاهواز الباقية وكان يجتذب القطعة فالقطعة منها ويجعل ذلك وراءه ولم يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ ، وما وهب قط لطارق ولا لشاعر ولا ولد نعمة شيئا وكان عارفا بورود الاموال وخرجها وجميعها تجرى على يده»(٢٩) ، اما عن نفقاته العائلية فقد حدد مثلا مصروف مائدته في كل يوم الف درهم وكان عدد غلمانه خمسة وكسوته متوسطة ولم يتسرر الا بثلاث جواري ولم تكن له زوجة غير والدة ابنة ابي القاسم . اما صلاته بالجيش فكانت خاصة(٣٠) لم يكتف البريديون بجمع الاموال بل بدات تظهر عندهم اطماع اوسع برز ذلك يوم ان امتنع ابو عبدالله البريدي عن ارسال الاموال الى بغداد مما كان متوفر عنده في الاهواز . ان امتناع ابى عبدالله البريدي من ارسال حصة الخلافة كان يشكل خطرا على مالية الخلافة ولا سيما وان جند الخلافة كانوا بحاجة الى هذه الاموال وان عدم توفيرها لهم يجعل الخليفة في محنة من حيث ان هؤلاء الجند كانوا يميلون الى

٢١- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص١٥٨

٢٢- نفس المصدر السابق ، ص١٥٨

٢٣- الفراتية - الضياع على ضفاف نهر الفرات

٢٤- الخاصة وهي الضياع التي يملكها الخليفة نفسه لايشاركه فيه احد ولها ديوان الخاصة يشرف عليها كتاب وعمال (جرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ٢ ، ص١٢٨) .

٢٥- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ص١٥٨ .

٢٦- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٢٠٧ - يذكر ابن الاثير (انهم صودروا على اربعمائة الف دينار) الكامل ، جـ٦ ، ص١٨٥ .

٢٧- ابن الاثير - الكامل - جـ٦ ، ص٢٢٩ -

٢٨- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٢٥٠

٢٩- نفس المصدر ، ص٢٤٩

٣٠- محمد بن عبدالملك الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، جـ١ ، قدم له وحققه ووضع فهارسه ، البرت يوسف كنعان ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦١ ، بيروت ، ص٩٨ .

كل من يمدهم باجور اكثر وكان المعروف عن ابي عبدالله انه يحسن الى جنده ويوفر لهم حاجاتهم. لذلك اقترح ابن رائق امير الامراء في بغداد على الخليفة الراضي سنة ٣٢٥هـ بان يذهبوا الى الاهواز ويطردوا البريدي عنها ان لم ينفذ امرهم فارسلا اليه رسالة يذكران فيها «انه قد اخر الاموال واستبد بها واخذ الجيوش وحسن لها المروق وانه ليس بطالبي يسارع على الملك ولا بجندي فينبغي الامارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المنغلقة وانه كان كاتبا صغيرا فترفع بعد خمول وعاملا من اوسط العمال فاصطنع واهل بجليل الاعمال فطغى وكفر النعمة وجازى عن الاحسان بالسوء وخلع الطاعة وان سلم الجند وحمل المال اقر على العمالة ، والا قصد وعوامل بما يستحق »(٣١) : واخيرا تقبل ابو عبدالله هذه الدعوة بسبب انهاكه لكثرة المعارك المتكررة بينه وبين جيوش الخلافة وفراره الى فارس ولجوئه الى البويهيين وخروج الاهواز من يده وحصار جيوش الخلافة برئاسة بن رائق للبصرة . فكل تلك الظروف لم تكن بصالح البريديين بعد ان تحسن وضع الخليفة بضربهم لفرق الجند من الحجرية والساجية لذلك فانه وافق على ان يدفع مبلغا مقداره ثلثمائة وستين الف دينار ، يرسل في كل شهر ثلاثين الف دينار والذهاب بالجيش الى فارس لعدم استطاعة الخلافة تسديد نفقاتهم وفي البعد ما يضمن الامان لهم (٣٢) ، وفي الحقيقة فان هذا الاتفاق كان مجرد حبرا على ورق ولم ينفذه ابو عبدالله وكلما هناك اراد ان يكسب وقتا يمهد له فرصة اخرى ليستعد بها لمنازلتهم ، وبعد موافقة ابى عبدالله عليه بصورة شكلية ارسل الخليفة اليه الخلع السلطانية وبالولاية وعمالة الاهواز وبنفس الوقت جرى اهتمام كبير لابى الحسين عندما كان في بغداد وقد رعى هذا الاهتمام ابن رائق فانحدر ابى الحسين من بغداد والتحق باخويه .

خرج البصريون باجمعهم الى سوق الاهواز لتهنئة ابو عبدالله البريدي بالولاية فقربهم واكرمهم واشار لهم باعداد المراكب العسكرية ليحصن بها البلدة من اعتداءات القرامطة ولينتقم لهم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته الذي ارهقهم بكثرة الضرائب وتحمله الدفع اربعة الاف دينار في كل شهر بازاء ما كان يؤخذ من الشرطة والماصير والشوك تخفيفا عنهم(٣٣) وقد ازيلت جميعها ولتثبيت صحة ذلك فانه وقع امامهم بخطة وسلمها اليهم ، فعند ذاك ازداد الدعاء له وبحمده فشكروه لما اقدم على هذا العمل للتنفيس عما اصابهم من ظلم وتعسف . وقد وضح ابو عبدالله لهم بان عمله هذا سيجلب له عداوة ابن رائق واخوانه ابو يوسف وابو الحسين وابنه القاسم ، فحفز فيهم الهمم لمحاربة ابن رائق ، وذكرهم باياميهم مع عبدالرحمن بن الاشعث ومحمد وابراهيم ابني عبدالله بن حسن بن حسن(٣٤) وقال لهم : لتكن قلوبكم قوية وامانكم فسحة ونفوسكم شديدة في مجاهدة عدوكم ، ثم وقع للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بالفي دينار وعرضت عليه الرقاع بالحاجات فوقع وجرى تخفيف في المعاملات بالف الف درهم(٣٥) ، وبهذا فقد استطاع ابو عبدالله ان يكسب رضى البصريين فاصبحوا له خير عون في حربه مع الخلافة ، للدفاع عن تلك المكاسب التي مهدها لهم ابو عبدالله البريدي . اخذ ابو عبدالله يهيء جيشه ، فقد استعد في بناء الشذاآت والزبازب والطيارات (٣٦) والاستكثار منها حتى اصبح عددها مائة قطعة جيدة الاستعمال وسير جيش قوامه الفي رجل برئاسة اقبال غلامة وحاجبه الى حصن المهدي وامرهم بالاقامة هناك حتى مكاتبهم بالمسير الى البصرة (٣٧) . وبنفس الوقت استطاع ابو عبدالله ان يكسب ود الغلمان الحجرية بدفع ارزاقهم ووعدهم بالاحسان . كل تلك الاستعدادات التي اتخذها ابو عبدالله تعكس عدم الثقة المتبادلة بين الاطراف المتصارعة داخل جهاز الخلافة العباسية والمحافظة على المراكز الحساسة ولا سيما السيطرة على المناطق الغنية التى تعتبر المصادر الممولة لمالية الخلافة العباسية . وبعد سماع الخليفة وابن رائق بتهيئة ابو عبدالله لجيوشه وارسال قسم من جيشه الى حصن المهدي ، رتبوا له خطة بالسير الى الاهواز والبصرة ، اما قوات ابي عبدالله البريدي فانها استطاعت التحرك من حصن المهدي ودخول البصرة وطرد محمد بن يزداد الذي نصبه ابن رائق على البصرة . ولكن هذا النصر الذي حققه البريديون سرعان ما انقلب الى هزيمة عندما توجه اليهم بجكم قائد جيش الخلافة الذي عينه ابن رائق، فوقعت الحرب بينه وبين جيش البريدي بقيادة ابي جعفر الجمال ،

٢١- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٢٥٨

٢٢- نفس المصدر السابق ، ص٢٥٩

٢٣- نفس المصدر السابق ، ص٢٦٤

٢٤- الهمداني ، التكملة ، ط٢ ، ص١٠٠

٢٥- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٢٦٤

٢٦- انواع من السفن النهرية .

٢٧- الصولي ، الاوراق ، مصر ، عني بنشره - ج هيورث د ن ص٢٨٩ . - مسكويه ، جـ١ ص٢٧١

فانهزم البريديون امامه ، ثم منوا بهزيمة اخرى بتستر ، حيث اضطر ابو عبدالله مع اخويه الى الهروب بواسطة زورق مائي فيه ثلاثمائةالفدينار، كانت هذه من خزائنهم فغرقت بالنهروان وغرق المركب واخرجهم الغواصون ، وبعد هزيمتهم هذه اتجهوا الى الابله (٣٨) وهيئوا ثلاثة مراكب للهروب فيها الى عمان ، بعد ان اوفدوا اقبال غلام ابو عبدالله الى مطار الملاقاة جيش الخلافة وايقاف تقدمهم ، وبعد ان دامت المعارك فترة طويلة ، خرج البصريون مناصرين للبريديين بعد سماعهم ان ابن رائق يريدقتلهم واحراق بلدهم(٣٩) وجعلهارمادا(٤٠) استطاع اقبال ان ينفذ الى شاطىء الابلة وحال بين جيوش الخلافة وبين الابلة ، فعند ذاك استطاع ابو عبدالله بالسير مر جزيرة اوال الى فارس واستجار بعلي ابن بويه لفتح الاهواز (٤١) . على انه يضمن للامير على بن بويه الاهواز والبصرة بثمانية عشر الف الف درهم لسنة خراجية (٤٢) وبعدمجيء بن بويه بصحبة ابي عبدالله وسحقهم جيش الخلافة، عبروا الى غربي عسكر مكرم ينتظرون هناك ورود الاخبار لهم من قبل جواسيس ابي عبدالله البريدي المنتشرين في كل مكان ، بعد موآتات الاخبار عليهم بهدوء المنطقة وخلوها من الاعداء ، عند ذاك نزل البريدي دارا على شاطىء نهر المسرقان ، حيث اقبل اهل الاهواز بمجموعهم مهنئين لهم بسلامة الوصول(٤٣) ولكن ابا عبدالله كعادته ، عندما تشتد به الامور وتدور عليه الدائرة يصبح امام امرين لا ثالث لهما، فاما ان يخضع ويستسلم للواقع ويمكث فترة يراوغ هذا وذاك من الوزراء والقواد ، واما ان يهرب الى جهة بعيدا عن الناس يراقب تحركات منافسيه ولمن سيكب النصر ، فيتقرب للجهة التي يستطيع كسب ودها دون ان يقع تحت تأثيرها بصورة مباشرة . وبعد ان مكث احمد بن بويه ومعه ابى عبدالله البريدي في الاهواز خمسة وثلاثين يوما هرب منه الى منطقة الباسيان واقام بها ، ثم اخذبمراسلته، اما اسباب ذلك وهروبه من قبضة ابن بويه فانها تعود الى نفسية

٣٨- بلدة على شاطىء دجلة غرب البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، انظر ، فتوح البلدان ، البلاذري ، نشر صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٧ ص٦٨٠ .

٣٩- الصولي ، الاوراق ، ص٨٩

٤٠- الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ٢ ، ص٢٠٤ ، تحقيق فؤاد سيد ، كويت ١٩٦١ .

٤١- مسكويه ، جـ١ ، ص٣٧٢ - الذهبي ، العبر ، جـ٢ ، ص ٢٠٤ .

٤٢- مسكويه ، جـ١ ، ص٣٨٠-٣٨١

٤٣- نفس المصدر السابق ، ص٣٨٠-٣٨١

ابي عبدالله الابية وعدم تحمله للاهانة التي لحقت به من الديلم ، ونفرته من الخضوع للاخرين . لقد اعتاد ابو عبدالله على نوع من الحرية ، واكره ما في نفسه معرفة الاخرين بمقدار ما كان يجنيه من الارباح عن طريق الضمان . بدا ابوعبدالله بمواسلة ابن رائق والتفاوض معه بعد ان هرب الى البصرة واستقر فيها سنة ٣٢٦هـ ، اتخذ بن رائق عهدا على نفسه بالتوسط له لدا الخليفة الراضي بالرضا عنهم ، ومنحت لهم الخلعة على ان يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويعملوا على فتح الاهواز ، وضمنوا حمل ثلاثين الف دينار واطلقت ضياعهم (٤٤) والظاهر ان هذا الصلح لم يكتب له النجاح بسبب ما حدث من تعكير الجو بين الطرفين المتصالحين ، حيث اتخذ بجكم هذا الصلح ذريعة له واعتبره ضربة موجهة ضده لا سيما اذا استطاع البريدي ان يفتح الاهواز ويضمنها لابن رائق، لذلك قام بجكم بمحاولة لعزل البريديين عن ابن رائق ومن ثم استمالتهم ، بعد ان حرضه على حربهم بعض الاشخاص ، وعندما احرز بجكم النصر ارسل يعتذر للبريديين عما حدث لهم ويكسب ودهم ويعاهد ابو عبدالله على تقليده ، لواسط ، فيما لو كتب له النصر في تسلمه اعلى منصب في الخلافة . ولم تكن غاية بجكم في حربه للبريديين سوى اذلالهم وخضوعهم له . وبعد ان تسلم بجكم منصب امير الامراء سنة ٣٢٦هـ في خلافة الراضي ضمن لابي عبدالله البريدي اعمال واسط بستمائة الف دينار في السنة . ونظرا لنفوذ ابو عبدالله المالي وما يحيط به من الاصدقاء وتقربه من بجكم امير الامراء ، استطاع ابو عبدالله ان يحصل على منصب الوزارة لاول مرة سنة٣٢٧هـ وللمحافظة على ما كان يربطه ببجكم من عرى التحالف ولتمتين اواصر الصداقة بينهم زوج ابنته سارة من بجكم ، وكان الظاهر على هذه الزيجة صفتها السياسية ، حيث عكستها العلاقة السائدة بين منصب امير الامراء ومنصب الوزير ، ولم تكن هذه الزيجة هي الوحيدة من نوعها ، بل اصبحت صفة ذلك العصر ، لكل من يريد التقرب من اصحاب المراكز العليا في الخلافة ، وللحصول على الشرف والتباهي امام الاخرين . ولكن توثيق عرى المصاهرة كثيرا ما كانت تصطدم بعقبات تجعل كل طرف يتحين للايقاع بالطرف الاخر (٤٥) .

كان سببها الطمع في الثراء والحصول على زيادة النفوذ ، مما جعلت ابا عبدالله يتردد في حربة ضد

٤٤- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ٣٨٤ .

٤٥- نفس المصدر السابق . ص٤٠٩

البويهيين الذين سبق وان ساعدوه في حربه ضد ابن رائق . ثم لطمعه باموال بجكم التي ملكها وخروجه من بغداد لفتح الاهواز ، فعندما تأكد ابو عبدالله من خروج بجكم من بغداد ، فكر بالمسير الى بغداد وجلب هذه الاموال والعودة بها الى واسط . ولكن بجكم لدا سماعه بالخبر ، عاد الى بغداد بسرعة خاطفة وعزل ابا عبدالله عن منصب الوزير سنة ٣٢٨هـ بعد ان استمر في وزارته سنة واحدة واربعة اشهر واربعة ايام(٤٦) .

وبعد انحدار بجكم الى واسط وجد ان البريدين قد غادروها الى البصرة ، وبينما كان البريديون مجتمعين بمطارا يعدون امرهم للهرب بلغهم خبر قتل بجكم ، فارتاحوا لهذا الخبر ، ورافق ذلك انحياز الجند الديلم للبريدين ، مما ادى الى رجحان كفة البريدين وزيادة نفوذهم العسكري ، بعد ان زاد البريدي ارزاق الجند وعلى راسهم تكنيك . صمم البريديون على التوجه بحركتهم الى بغداد ، فازداد خوف الناس منهم لكثرة الدعاية ضدهم ، حتى اضطر فريق من الناس مغادرة بغداد الى جهات مختلفة . ان الدعاية التي اثيرت ضد البريدين ما هي في الحقيقة الا من باب التشويه لسمعتهم وتنفير الناس من حكمهم ولا سيما سذج الناس وبسطائهم، فقد ثبت ان هذه الفئة من المجتمع سرعان ما تقع تحت تاثير الدعايات الكاذبة المضللة التي يروجها اصحاب المقامات العليا ، عندما يشتد الصراع بينهم، فيتخذون من تلك الفئة اداة لضرب كل من تخول له نفسه بالنيل من مكانتهم الاجتماعية والتصدي لها باي ضرب من ضروب الاذى . كل تلك الاساليب وغيرها التي اتخذت ضد البريدين لم تثني عزمهم في السيطرة على بغداد ، ففي سنة ٣٢٩هـ ، فترة حكم الخليفة المتقى ، دخل بغداد ابو عبدالله البريدي ومعه اخوه ابو الحسين وابنه القاسم وابو جعفر ابن شيرزاد الصديق لابي عبدالله . فنزلوا البستان الشفيعي وكان في استقبالهم الوزير ابو الحسين ابن ميمون بصحبة الكتاب والعمال والقضاة .

سكن ابو عبدالله البريدي الدار بالنجمي ونزل ابو الحسين دار مؤنس المظفر ، ولقب ابو عبدالله البريدي بالوزير . ولتوثيق صلته بالخليفة المتقي ، زوج ابنته من عبدالواحد بن منصور بن المتقى لله . ونثر عليه دنانير كثيرة ، تراوحت ما بين الخمسة الاف دينار ومائة الف درهم ، اذ كانت العادة متبعة عند الاسر الحاكمة والغنية ان تنثر الدراهم في حفلات الزواج للتعبير عن الابتهاج والفرح في تلك المناسبات (٤٧) .

انفرد ابو عبدالله ، البريدي بمنصب الوزارة للمرة الثانية بعد تنحية الوزير ابي الحسين بن ميمون ، واستطاع ان يكسب رضا الجند بالاموال التي وزعها عليهم . ولكن رضا هؤلاء لم يكن بالشيء الجديد عليهم . فهم كعادتهم التي تعودوا عليها ، يتجهون الى كل من يمدهم بالمال وينفضون عنه ويتألبون ضده عندما يتعذر لهذا الممول من تسديد نفقاتهم . لقد تألب الجند ضد ابو عبدالله البريدي، بعد ان عجز عن دفع مصاريفهم ، اتفق الجند فيما بينهم للانقضاض على البريدين ، فقصدوا دار ابي عبدالله بالنجمي مع عامة الشعب وحدثت بين الطرفين معركة انتهت بنهب داره ودور قواده وفرارهم من بغداد وانحدارهم الى واسط. تراوحت فترة بقاء ابو عبدالله البريدي في منصب الوزير حوالي اربعة وعشرون يوما (٤٨) .

اتخذ ابو عبدالله البريدي عدة اجراءات طيلة بقائه في منصب الوزير منها تنحية عمال الكوفي(٤٩) وتوليه عماله بدلا عنهم ، وبالرغم من قصر تلك الفترة فانها اتصفت برخص الاسعار (٥٠) وذلك كما يبدو من توفير المواد الضرورية من المناطق القريبة من بغداد ، واستخدامه الشدة تجاه المتلاعبين بالاسعار .

وفي سنة ٣٣٠هـ عند ما صمم محمد بن رائق على دخول واسط وطرد البريدين منها ، بسبب امتناعه عن ارسال الاموال الى بغداد . هرب البريديون منها الى البصرة . وبالنظر لسوء حالة الوضع واضطرابه ضد بن رائق واحتياجه للمال مجددا . بدا بمراسلتهم على ان يضمن لهم البقاء في واسط مقابل مائة وسبعين الف دينار . ثم بستمائة الف دينار في السنة (٥١) . وبعد ان تم لابن رائق ما اراد ترك واسط واتجه الى بغداد ، فعند ذلك قدم البريديون من البصرة واستقروا في واسط، وانضم اليهم عدد غفير من الجند الاتراك وعلى راسهم نوزون ونوشتكين اللذين تخلوا عن ابن رائق واتجهوا اليه ، ونتيجة لما حدث من انضمام الجند الاتراك الى البريديين تعززت قوتهم العسكرية واصبحت تهدد

٤٦- الصولي ، الاوراق ، ص١٤٤ - مسكويه ، تجارب الامم جـ١ ، ص٤١١-٤١٢

٤٧- الصولي ، الاوراق ، ص٥٧

٤٨- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٧ ، مصر سنة سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م .

٤٩- ابو عبدالله الكوفي - هو المساعد للوزير ابن الحسين احمد بن محمد بن ميمون .

٥٠- الصولي - الاوراق ، ص٢٠٠

٥١- الصولي - الاوراق ، ص٢٢٤

مركز بن رائق . ولاجل تفادي هذا الامر اضطر بن رائق ان يعيد ابو عبدالله البريدي الى منصب الوزير . فاصبح أبو عبدالله البريدي وزيرا للمرة الثانية ، وارسل اليه الهدايا تعبيرا عن رضاه . ولكن البريديين صمموا على تصعيد حركتهم الى بغداد وعندما وصل الخبر بقربهم من بغداد بقيادة ابي الحسين البريدي اتخذت ضدهم بعض الاجراءات منها عزل ابي عبدالله البريدي عن منصب الوزير وتحشيد الجيوش وتهيأتهم ضدهم وحث عامة الناس لمحاربتهم ، فحلت الفوضى في بغداد ونشط العيارين وفتحوا السجون واخرجوا من فيها ، فنهبت البيوت واستمر كبس الدور ليلا ونهارا ، ولعن بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة في بغداد .

خرج الخليفة الى نهر ديالى ومعه ابن رائق وبصحبته القواد لمحاربة البريديين واستمرت الحرب بينهم فترة حتى استطاع البريديون من دخول بغداد، مما اضطر الخليفة المتقي وابنه على الهروب مع افراد من الجيش فلحق بهم ابن رائق واتجهوا الى الموصل ، وبعد ان سيطر ابو الحسين البريدي على بغداد نزل دارمونس وقام بعدة امور تضمن حياة الناس وتهيىء لهم الراحة والامن وتوفر لهم المواد الغذائية . فلاجل صيانة ارواح الناس وممتلكاتهم، عين ابو الوفاء توزون على رئاسة الشرطة في الجانب الشرقي ولنوشتكين الرئاسة على الجانب الغربي ونظرا لارتفاع الاسعار ببغداد حيث بلغ المكوك من الدقيق ستة دراهم (٥٢) . ويذكر مسكوية انه وظف على كر من الحنطة سبعين درهما وعلى سائر المكيلات وعلى الزيت (٥٣) ، وكلها تشير الى الازمة المعاشية التي كان يعانيها الناس في تلك الفترة المضطربة . حاول البريديون التخفيف من هذه الحالة بسيطرتهم على المواد الغذائية ، لا سيما الدقيق التي ملكها التجار والواردة من الكوفة، وبعد ان هيأوا للناس تلك المواد الضرورية رخصت الاسعار (٥٤) ببغداد وعمها الهدوء والاستقرار طيلة بقاء البريديين فيها واجرى للقاهر الخليفة المعزول في كل يوم خمسة دراهم بعد سماع البريدي بانه كان يتصدق بسوق الثلاثاء (٥٥)

وبالنظر للخيانات المستمرة والتي اعتاد عليها الجند الاتراك بسبب تاخير ارزاقهم هرب عدد منهم والتحقوا بالخليفة مما اضطر ابو الحسين البريدي الى طلب المساعدة من اخيه ابى عبدالله اثناء وجوده في واسط ولدى سماعه بان الخليفة المتقي بصحبة ابن حمدان قد عزموا على المجيء الى بغداد ، هيأ ابو الحسين العدة والرجال اضافة الى ما قدمه ابو عبدالله من مساعدة له ، اظهر التوجه لمحاربة ابن حمدان وذلك لعدم ثقته بالجند وتخوفه من الناس حيث اضطرب العامة السذج من الناس وهموا بمقاتلة البريديين ، كل ذلك اثبت عدم رجحان كفة البريديين العسكرية ، مما اضطر ابو الحسين الى مغادرة بغداد الى واسط ، عندما تقرب المتقي وابو محمد بن حمدان منها. صحب ابو الحسين البريدي اثناء هروبه من بغداد جميع جيشه ومن كان معتقلا عنده ، فعم الاضطراب والفوضى مدينة بغداد ونهبت الدور مجددا وحمل الناس السلاح للدفاع عن انفسهم لعدم وجود سلطة تأخذ على عاتقها حماية الارواح وصيانتها من المعتدين .

استمر بقاء ابو الحسين البريدي في بغداد ثلاثة اشهر وعشرين يوما(٥٦) . وبعد ذلك دخل الخليفة المتقي بغداد وكان يصاحبه ابي محمد محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان ونتيجة للانتصار الذي احرزه جعله الخليفة اميرا للامراء ولقبه بناصر الدولة وخلع عليه وعلى اخيه علي طوقا وسوارا بطوقين واربعة اسورة ذهبا وخلع على ابي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوق بطوق واحد وسوارين ذهبا (٥٧) ، هذه الهدايا والخلع كانت تغدق على قادة الجيوش بعد احرازهم للنصر وتعد تعبيرا لهم عن رضا الخليفة وتقربه لهم ، وكانت عادة متبعة في ذلك العصر . لكن ابا الحسين البريدي حاول مجددا التوجه الى بغداد بجيشه الكثير العدد ودارت بين البريدي وبين علي ابن عبدالله بن حمدان معركة في القرية المعروفة بكيل اسفل المدائن ، فانهزم اصحاب ابن حمدان الا ان ناصر الدولة وجيشه استطاع ان يقهر جيش البريدي ، عندما كان ناصر الدولة بالمدائن فاستوسر من اصحاب البريدي يانس غلام ابى عبدالله البريدي والفرج كاتب جيش البريدي وابو الفتح ابن ابي طاهر ومحمد بن عبدالصمد ومذكر البريدي وعندما دخل ناصر الدولة بغداد كان هؤلاء بين يديه مشهرين على جمال وعلى رؤسهم برانس ، وكانت هذه عادة اتبعت للتشهير بالخصوم الذين خسروا المعركة . اما ابو الحسين فقد انحدر الى البصرة مع ثلة من جيشه . وفي سنة ٣٣٢هـ وبموت ابى عبدالله البريدي بدا التشتت يظهر على ابناء البريدي بعد

٥٢ـ الصولي الاوراق ، ص٢٢٤ .
٥٣ـ مسكوية تجارب الامم ، ج٢ ، ص٢٦ .
٥٤ـ الصولي ، الاوراق ، ص٥٢٤ .
٥٥ـ الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ط٢ ، ص١٢٧ .

٥٦ـ مسكوية تجارب الامم ـ ج٢ ، ص٢٦
٥٧ـ الصولي ـ الاوراق ص٢٢ ـ مسكوية تجارب الامم ج٢ ص٢٩

ان انهى اثنين منهم نحبه ولم يبق منهم غير ابى الحسين وابى القاسم ابن ابي عبدالله البريدي .

وبعد موت ابي عبدالله البريدي اصبحت رئاسة الجيش لابي الحسين البريدي ، وبدأ الصراع بين ابي الحسين وابي القاسم ، وقد استطاع ابو القاسم من فرض سيطرته بعد ان عجز ابو الحسين بمساعدة القرامطة في هجر ، حيث جهز ابو طاهر الهجري جيشا ومعه اثنان من اخوانه لمحاصرة البصرة واسترجاع رئاسة ابو الحسين البريدي عليها . وراسل ابو الحسين البريدي بعد هروبه من البصرة وفراره الى بغداد ، الامير توزون ، وطلب منه المساعدة لفتح البصرة ، وانه يضمن له من جراء ذلك الاموال الكثيرة ؛ وبعد المداولة في الامر بين الخليفة المستكفي وبين توزون ، خلع الخليفة المستكفي على ابي الحسين الخلعة دلالة على رضاه منه ، وبنفس الوقت عندما سمع ابو القاسم لهذا الخبر ، حاول هو الاخر كسب رضا توزون وابن شيرزاد كاتبه ، الذي حاول ابو الحسين من ضربه وقطع صلته بتوزون ، وبعد ان تم لابي القاسم البريدي من كسب رضا توزون وابن شيرزاد ، وجه توزون بتحريض من ابن شيرزاد بالقبض على ابي الحسين في بغداد ، واقتيد الى دار الخلافة حيث ضربت عنقه ، وصلبت جثته ثم احرقت سنة ٣٣٣هـ وبموت ابي الحسين البريدي لم يبق منهم غير ابي القاسم ، وقد استطاع ابو القاسم البريدي ان يضمن واسط من معز الدولة البويهي ، الا ان هذه الصلة الحسنة لم تستمر طويلا ، بسبب تضارب المصالح المالية فعند ذاك ارسل معز الدولة البويهي جيشا الى واسط ، وكان ابو القاسم البريدي قد سير جيشا من البصرة لمواجهتهم ، فجرت بين الطرفين معركة انتهت بانهزام البريدي واسر عدد كثير من الديلم ، ولكن معز الدولة البويهي لم يكتف بهذا القدر من النصر ، بل انه صمم على انتزاع البصرة من واليها ابو القاسم البريدي ، وجرت في هذا الاثناء مراسلات بين القرامطة في هجر يشيرون على معز الدولة البويهي بالكف عن الاقدام الى البصرة ، بعد ما لمسوا ما يهددهم من مخاطر فيما لو تم للبويهي من فتح البصرة ، رفض معز الدولة ما اراده القرامطة ملوحا لهم ما في نيته من السير اليهم والقضاء عليهم . بعد وصول جيش الخليفة المطيع لله ومعز الدولة البويهي الى الدرهمية (٥٨) انحاز جيش البريدي باسره الى جانب الخليفة ، وعلى اثر ذلك هرب ابو القاسم البريدي الى هجر ودخل معز الدولة البصرة (سنة ٣٣٦هـ ـ ٩٤٧م) والقي القبض على جميع قواد البريدي واستولى على امواله وودائعه وخزائنه واحرق كل ما وجده من الشذاءات والطيارات والزبازب ، وجعل لؤلؤا واليا على اعمال البصرة والحرب (٥٩) الا ان ابا القاسم البريدي لم يسكت اذ بعد فترة استطاع من الحصول على الامان في سنة ٣٣٧هـ والمجيء الى بغداد ، فلقي معز الدولة واحسن اليه واعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخابا من بادويا وانزله ، في الدار المسماة بالموزة بمشرعة الساج (٦٠) وانه اقطع اقطاعا بعشرة الاف دينار واتخذه نديما له(٦١)ويذكر مسكوية ، ان معز الدولة «اقطعه بمائة وعشرين الف درهم ضياعا » (٦٢) . استمرت العلاقة بينهما طيبة حتى وفاة ابو القاسم البريدي (سنة ٣٤٩هـ/٩٦١م) وبهذا انقطعت الاخبار عن اسرة ال البريدي .

٥٨ـ مكان بالقرب من البصرة

٥٩ـ مسكوية ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١١٢ ـ ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣٢٥ .

٦٠ـ الهمداني ، التكملة ، جـ١ ، طـ٢ ، ص١٦٠

٦١ـ مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٨١

٦٢ـ مسكوية ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١١٥

***

المصادر والمراجع

١ ـ احمد بن محمد المعروف بمسكويه ، تجارب الامم ـ الجزء الاول مصر (سنة ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م) ـ الجزء الثاني مصر (١٣٣هـ ـ ١٩١٥م) .

٢ ـ ابن الاثير ، انكامل ـ الجزء السادس ، بيروت ١٣٨٧هـ .

٣ ـ ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب مصر ـ ١٣٥٧هـ .

٤ ـ ابو الفداء المختصر في اخبار البشر الجزء الاول والثاني والثالث بيروت .

٥ ـ محمد بن يحيى الصولي ، الاوراق ـ غنى بنشره ج ـ هيورت ، دت .

٦ ـ محمد بن عبدالملك الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، قدم له وحققه ووضع فهارسه البرت يوسف كنعان طـ٢ بيروت سنة ١٩٦١ .

٨ ـ الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق فؤاد سيد ـ كويت سنة ١٩٦١ .

٩ ـ الهلال الصابي ، الوزراء ، تحقيق عبدالستار احمد فراج دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٨ .

١٠ـ جرجي زيدان ، تاريخ التحدث الاسلامي ، الجزء الثاني دار الهلال .

١١ـ عبدالجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري لندن ١٩٧٠ اطروحة باللغة الانكليزية لم تنشر بعد .